المجال الخامس
الإفساد في الأرض

ورد النهي في هذا المجال عن الإفساد في الأرض في سياقين، في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ **لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ** قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١)، وقوله جل ثناؤه: ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (٦٠).

جاء في تعريف الفساد "الفساد: زوال الصورة عن المادة بعد أن كانت حاصلة، والفساد عند الفقهاء: ما كان مشروعا بأصله غير مشروع بوصفه، وهو مرادف للبطلان عند الشافعي وقسم ثالث: مباين للصحة والبطلان عندنا[١]"، وقيل: "الفَسَادُ: خروج الشيء عن الاعتدال، قليلا كان الخروج عنه أو كثيرا، ويضادّه الصّلاح، ويستعمل ذلك في النّفس، والبدن، والأشياء الخارجة عن الاستقامة، يقال: فَسَدَ فَسَاداً وفُسُوداً، وأَفْسَدَهُ غيره[٢]".

ومن الملاحظ أن النهي في السياق الثاني جاء مؤكدا بالحال، فقد ورد في هذا الشأن: "تنقسم الحال إلى: مؤكده وغير مؤكدة، فالمؤكدة على قسمين، وغير المؤكدة ما سوى القسمين. فالقسم الأول من المؤكدة: ما أكدت عاملها... وهي كل وصف دل على معنى عامله وخالفه لفظا، وهو الأكثر، أو وافقه لفظا، وهو دون الأول في الكثرة، فمثال الأول: لا تعثُ في الأرض مفسدا ومنه قوله تعالى... ﴿وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[٣]".

والنهي عن الإفساد في الأرض "نهي عن إيقاع الفساد في الأرض وإدخال ماهيته في الوجود، فيتعلق بجميع أنواعه من إفساد النفوس والأنساب والأموال والعقول والأديان[٤]"، والإفساد يشمل "إفساد النفوس بالقتل والاعتداء، وإفساد المال بالسرقة والنصب، وإفساد الدين بالكفر والمعاصي، وإفساد العقل بالمسكرات[٥]" من خلال

---

(١) التعريفات، الجرجاني، ١ / ٢١٤

(٢) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ١ / ٦٣٦

(٣) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل، ٢ / ٢٧٦

(٤) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ٥ / ٧٠

(٥) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي، ١ / ٧٢٣

النص الكريم نرى كيف "ينافق المنافق حتى مع نفسه، فيرى أنه على طريق الحق، على حين أنه غارق فى الضلال.. والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ﴾(٨: فاطر) فلقد غلبت عليهم شقوتهم، ونظروا إلى أنفسهم فى مرايا النفاق، فرأوا أنهم أحسن الناس حالا، وأكملهم كمالا!![١]".

ويقول الشيخ المراغي: إن "المنهي عنه هنا الأسباب المؤدية إلى الفساد من: إفشاء أسرار المؤمنين إلى الكفار،وإغرائهم بالمؤمنين، وتنفيرهم من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم،والأخذ بما جاء به من الإصلاح، إلى نحو أولئك من فنون الشر وصنوف الفتن، كما يقول إنسان لآخر: لا تقتل نفسك بيدك، ولا تلق بيديك إلى التهلكة، إذا أقدم على ما هذه عاقبته[٢]".

ويقول الإمام الطبري في تفسير الفساد هنا: "والإفساد في الأرض، العمل فيها بما نهى الله جلّ ثناؤه عنه، وتضييعُ ما أمر الله بحفظه، فذلك جملة الإفساد، كما قال جل ثناؤه في كتابه مخبرًا عن قِيلِ ملائكته: ﴿ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾(٣٠)، يعنون بذلك: أتجعل في الأرض من يَعْصِيكَ ويُخالف أمرك؟ فكذلك صفة أهل النفاق: مُفسدون في الأرض بمعصِيَتهم فيها ربَّهم، وركوبهم فيها ما نَهاهم عن ركوبه، وتضييعِهم فرائضَه، وشكِّهم في دين الله الذي لا يقبَلُ من أحدٍ عملا إلا بالتَّصديق به والإيقان بحقيقته، وكذبِهم المؤمنين بدَعواهم غير ما هم عليه مقيمُون من الشّك والرَيب، وبمظاهرتهم أهلَ التكذيب بالله وكُتُبه ورسله على أولياء الله، إذا وجدوا إلى ذلك سبيلا[٣]".

ومن الألفاظ الشائعة في هذا المجال تفسدوا – الأرض – تعثوا – مفسدين

---

(١) التفسير القرآني للقرآن، د. عبد الكريم الخطيب، ١ / ٣٣

(٢) تفسير المراغي، الشيخ المراغي، ١ / ٥٣

(٣) جامع البيان، الطبري، ١ / ٢٨٩